

في

بناء القصيدة النواسية

في النقد العربي القديم

الدكتور قصي سالم علوان

مما وقف عنده النقد العربي القديم في شعر أبي نواس ، بناء القصيدة • وقد تعرض في ذلك لجوانب متعددة • ومما تعرض له من تلك الجوانب : المطلع والتخلص والخاتمة •

وتعرضه لتلك الجوانب الثلاثة متأث من النظرة الى البيت المفرد لا الى القصيدة عامة ، تلك النظرة الناتجة من الولوع بالايجاز وبالمثل السائر ، ومن اهتمام علماء اللغة ورواة الشعر ببيت الشاهد أو المثل ، ثم أكد الناقد هذه النظرة • فلم تكن الوحدة الموضوعية ، بله العضوية ، قد عرفها النقد العربي في ذلك الوقت المبكر ، وهو لم يعرفها الا بعد اتصاله بالغرب في العصر الحديث • قد نجد عند نقادنا القدماء اشارات الى نوع من الوحدة في القصيدة ، كما نجد ذلك عند ابن طباطبا (١) أو عند الحاتمي (٢) مثلاً ، ولكن ما ذهب اليه هذان الناقدان ليس غير الدعوة الى التلطف في الربط بين الموضوعات المتعددة للقصيدة • وهكذا كانت الدعوة الى العناية بالمطلع والتخلص والخاتمة ، لأنهم رأوا أن الشاعر الحاذق يجتهد في تحسينها (٣) •

المطلع يسمى الاستهلال أو الابتداء أيضا • وتأتي العناية به لاعتبار انه « اذا كان الابتداء حسنا ومليحا رشيقا كان داعية الى الاستمتاع لما يجيء بعده من الكلام (٤) » اذ « خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول

(١) عيار الشعر : ص ١٢٦ •

(٢) ابن رشيق : العمدة : ١١٧/٢ •

(٣) القاضي الجرجاني : الوساطة : ص ٤٨ •

(٤) أبو هلال العسكري : الصناعتين : ص ٤٥٧ •

ما يطرق السمع من الكلام • فإذا كان الابتداء لاثقا بالمعنى الوارد بعده
توفرت الدواعي على استماعه (٥) » •

وقد وقف عدد من النقاد والبلاغيين عند مطالع قصائد أبي نواس
كالحاتمي والآمدي وابن رشيق وابن أبي الأصبع وابن منظور وعبد الرحيم
العباسي وغيرهم • وكان الحاتمي أكثرهم وقوفا وأشد المعجبين بها إعجابا
حتى أنه « لا يرى نظيرا لأبي نواس في حسن ابتداءاته غير أبي تمام (٦) »
وقد ذكر لأبي نواس عددا من المطالع التي أعجب بها ، انفرد ببعضها
وشاركه غيره في غيرها •

ومن المطالع التي كانت موضع الإعجاب المطالع الاتية :
أعطتك ريحانها المقار وحان من ليلك انفسار (٧)
وقوله :

لمن دمن تزدد طيب نسيم
على طول ما أقوت وحسن رسوم

تجافى البلى عنهن حتى كأنما
لبسن من الاقواء ثوب نعيم (٨)

وقوله :

ألا لا أرى مثلي امترى اليوم في رسم
توهمه عيني ويلفظه وهمي
أتت صور الأشياء بيني وبينه
فظني كلا ظني وعلمي كلا علمي (٩)

(٥) ابن الأثير : المثل السائر : ٩٨/٣ •

(٦) حلية المحاضرة : ٩٨/١ •

(٧) المصدر نفسه : ٩٦/١ ، وابن رشيق : ٢١٩/١ •

(٨) الحاتمي : المكان نفسه • وابن رشيق : المكان نفسه • وابن أبي

الأصبع : تحرير التعبير : ص ١٧٠ •

(٩) الحاتمي : المكان نفسه •

وقوله :

ساع بكأس الى ناس على طرب
كلاهما عجب في منظر عجب
قامت تريني وأمر الليل مجتمع
صبعا تولد بين الماء والعنب
كان صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء در على أرض من الذهب (١٠)

وقوله :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء (١١)

وقوله :

خليلي هذا موقف من متيم
فعوجا قليلا وانظراه يسلم (١٢)
ومن الابتداءات التي ذكرها الحاتمي معجبا ، بالاضافة الى ما ذكر ،
قول أبي نواس :

صفة الطلول بلاغة القدم
فأجعل صفاتك لابنة الكرم
لا تخدعن عن التي جعلت

سقم الصحيح وصحة السقم (١٣)
وبعد أن يذكره يعود ليروي عن قال : « سمعت ابن الأعرابي غير مرة
يقول : ما ظننت أحدا في زماننا يحسن أن يبتدىء فيقول كما قال اسحاق
الموصلي :

(١٠) المصدر نفسه : ٩٨/١ .

(١١) ابن رشيق : المكان نفسه . وقد روي أن ابن الأعرابي قال يوما :
انشدونني بيتا أوله أكثم بن صيفي في اختيار الرأي وآخره ابن ماسويه
الطبيب في المداواة . فقالوا : ما نعرفه .

فقال : دع عنك لومي فان اللوم اغراء .

(١٢) الحاتمي : المصدر نفسه : ٩٧/١ .

(١٣) المكان نفسه .

هل الى أن تنام عيني سبيل
ان عهدي بالنوم عهد طويل،
ولا كما قال أبو نواس :

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لأبنة الكرم (×)
تصف الطلول على السماع بها
أفدو العيان كأنت في العلم
واذا وصفت الشيء متبعاً

لم تغل من زلل ومن وهم
قال : ولم يقل في معنى الأبيات أحد مثلها (١٤) «

ثم يعقب الحاتمي على ذلك قائلاً : « قال أبو علي : أما أبيات أبي
نواس هذه فلا يستطيع أحد مماثلتها ابتداءاً للمعنى واحساناً في الصفة ،
ودقة في النسج . وأما بيت اسحاق الموصلي فعذب المشرب ، متوقد الكوكب ،
لولا أن قول أبي نواس كدر صفوه وكذب نوءه . وهو :

رسم الكرى بين الجفون محيل
عنى عليه بكاً عليه طويل
يا ناظراً ما أقلمت لحظاتها
حتى تشخص بينهن قتيل (١٥) «

ويبدو أن الحاتمي شديد الإعجاب بقول أبي نواس الأخير ، كما هو
شأنه بقول أبي نواس السابق له ، والذي أعجب به ابن الأعرابي ، إذ نجده
بعد أن يبدي رأيه ذاك فيه ، يعود ليذكر رواية عن جماعة من الكتاب دخلوا
على المعتابي « فأروا في يده رقعة ينظر فيها فقال : أنظروا إلى الرقعة التي
كانت في يدي ؟ قالوا : نعم . قال : لقد سلك صاحبها وادياً ما سلكه غيره ،
فلله دره .

-
- (×) هناك ثلاثة عشر بيتاً بعد هذا البيت وقبل البيتين التاليين . انظر :
ديوان أبي نواس (أصاف) : ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(١٤) الحاتمي : المصدر نفسه : ١٠١/١ .
(١٥) المكان نفسه .

وكان فيها أبيات أبي نواس . وهي :

رسم الكرى . . . الخ (١٦) »

واللافت للنظر أن ابتداء أبي نواس الأخير ، الذي أعجب به من ذكرنا وشاركهما ذلك ابن الأعرابي أيضا حيث يقول : « ما زلت أرى للشعر غاية ونهاية حتى سمعت قول أبي نواس : رسم الكرى . . . (١٧) » لا يلقى من مسلم بن الوليد غير الاستهجان والسخرية .

يحدثنا المرزباني عن يروي عن اسماعيل بن أبي محمد اليزدي انه قال : « اختلف أخي ابراهيم بن أبي محمد وابن أخي أحمد بن محمد بن أبي محمد في بيت أبي نواس . . . وكان أحمد مقاربا لعمه في السن . وهو :

رسم الكرى . . .

فقال ابراهيم : والله ما هذا بكلام مطبوع ولا محسن . وقال أحمد : لقد أجاد في المعنى وأحسن . فتراضيا بمن يحكم بينهما واتفقا على مسلم بن الوليد . . . فسألاه . فقال مسلم : ان كان قول أبي المذافر العمي :

باض الهوى في فؤادي وفـرخ التـذكـار
حسنا ، فان هذا حسن . فحكم لأخي (١٨) » .

وواضح بعد الانصاف عن حكم مسلم . وربما كان حكمه ذاك مجاملة للعم ، أو للتهكم من أبي نواس . فهو بالرغم من اعجابه ببعض شعر أبي نواس (١٩) فقد أزرى به أكثر من مرة (٢٠) والا فآين قول أبي المذافر من قول أبي نواس ؟ وآين ذوق مسلم بن الوليد الشاعر المفتن حين يزور عن اجادة أبي نواس ؟

وقد وقف الحصري القيرواني عند البيت الثاني من قول أبي نواس السابق (ألا لا أرى مثلى امترى . . .) حين ذكر لامرئ القيس قوله :

(١٦) المكان نفسه .

(١٧) ديوان أبي نواس (فاغتر) : ٢٢/١ .

(١٨) الموشح : ص ٤٣٨ .

(١٩) ابن منظور : مختار الأغاني : ٢١١/٣ .

(٢٠) المرزباني : الموشح : ص ٤٣٦ - ٤٣٩ .

لمن طلل درست آيه وغيره سالف الأحرص
تنكره العين من حادث ويعرفه شغف الأنفس

فقال : « ولو قال : تنكره عيني ويعرفه وهمي لكان كالأول . وكان
أجود . فلعل أبا نواس قصد الخلاف ، وأعجبه قول : ويلفظه وهمي ، لأنها
لفظة مليحة (٢١) »

فالحصري يريد أن يقول أبو نواس كما قال امرؤ القيس بأن يسند
الانكار الى العين ، وأن يسند المعرفة الى القلب . ونظن أن ذلك تضيق من
الحصري وعدم استيعاب لطبيعة الموقفين . فامرؤ القيس وقف أمام الطلل
فأنكرت عينه ما جرى عليه من اختلاف نتيجة للدروس ، وكأنه اذ يراه يقول
انه ليس هو ، ولكن نفسه المتعلقة بالطلل تزيل الانكار .

أما أبو نواس حين وقف أمام الطلل فقد عرفه بالعين ولكن القلب رفض
أن يقر بذاك لأنه لما جرى للرسم . ومقولة أبي نواس - يلفظه - التي رأى
الحصري أنها « مليحة » لم تأت كذلك الا لأنها أصدق تعبيراً عن الموقف
من « ينكر » . ان القلب هنا لا ينكر بل يلفظ ، والأخيرة اشد دلالة على النفور
مما جرى للرسم .

ومثلما كانت لأبي نواس مطالع نالت استعسان النقاد ، فقد كانت
له مطالع كانت موضع الاستهجان . اذ انه لما كان « حسن الافتتاح داعية
الانشراح ومطية النجاح » كما يقول ابن رشيق (٢٢) . بالنسبة لقصيدة
المدح والتهنئة فانه « ينبغي للشاعر أن يتحرز في أشعاره ومفتتح أقواله مما
يتطير منه ، ويستجفى من الكلام » كما يقول أبو هلال العسكري (٢٣) ولذلك
عيب أبو نواس لاستهلاله قصيدة يهنئ بها الفضل بن يحيى البرمكي بقوله :
أربع البلى ان الخشوع لبادي

عليك واني لم أخنك ودادي
ومما زاد النعي على هذا الاستهلال أن أبا نواس قال في القصيدة
نفسها مخاطباً البرامكة :

(٢١) جمع الجواهر : ص ١٧٨ .

(٢٢) الممد : ٢١٧/١ .

(٢٣) الصناعتين : ص ٤٥١ .

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم
بني برمك من رائحين وغاد

وكانت نكبة البرامكة بعد هذه القصيدة بحوالي أسبوع (٢٤)
فليس من المناسب أن يبدأ شاعر تهنئته بهذه البداية من ذكر الطلل
العافي وما اليه ، مما يدعو الى انقباض النفس ووحشتها وتطيرها . ولهذا
فقد كان هذا المطلع من أشهر المطالع المستشهد بها على سوء المطالع وعدم
مناسبتها ، في كتب النقد والبلاغة (٢٥) .

واذا كان الطمن قد وجه الى هذا المطلع لعدم مناسبتها لمقتضى الحال ،
فان الأمدى ينظر اليه في فصل في « الموازنة » عن وصف الديار وساكنيها ،
نظرة فنية لا علاقة لها بظرف القصيدة ومناسبتها . يقول : « وقال أبو تمام :

لو أن دهرًا رد رجع جواب
أو كف من شأويه طول عتاب
لمذلت في دمنتين بأمره
محموتين لزينب ورباب
ثنتين كالقمرين حف سناهما
بكواعب مثل الدمى أتراب
من كل ريم لم ترم سوءا ولم
تخلط صبا أيامها بتصاب

قوله : « لمذلت في دمنتين » معنى سخي فابداع غير حسن ولا جميل
وقد اعتذر أبو نواس الى الربيع : بأنه لم يقدر على دفع ضر البلى
والدروس عنه ، وانه لا يدري ما يقول في ذلك لسعاد . فجاءنا بأبدة

(٢٤)، (٢٥) ابن طباطبا : عيار الشعر : ص ١٢٢ ، والمرزباني : الموشح :
ص ٢٢٢ ، ٢٧٢ ، وابن شرف القيرواني في « رسائل الانتقاد » :
محمد كرد علي : رسائل البلغاء : ص ٣٨٨ ، وابن سنان
النفاجي : سر الفصاحة : ص ١٧٦ ، وأسامة بن منقذ : البديع
في نقد الشعر : ص ٢٨٥ ، وابن الأثير : الجامع الكبير : ص
١٨٨ ، وابن منظور : أخبار أبي نواس : ٧٠/٢ ، ويحيى بن
حسزة العلوي : الطراز : ٢٧٦/١ .

ظريقة عجيبة • وقد رأيت من الشيوخ من استحسنه لغرابة معناه • وذلك قوله :

أربع البلى ان الخشوع لبادي
عليك واني لم أخنك ودادي
فمعمذرة مني اليك بأن ترى
رهينة أرماس وصون عواد
ولم أدرا الضراء عنك بحيلة
فما أنا منها قائل لسعاد

وهذا ليس على طريقة العرب ولا مذاهبيهم • وإذا اعتمد الشاعر الابداع فمن سبيله ألا يخرج عن سنن القوم • فانه لم يحظر فيه عليه مستغرب المعاني ومستغرفها • وما أحسن المعنى الصحيح إذا أتى به الطبع النقي ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو ، وذلك نحو قول البحري :

وما أعرف الأطلال من بطن توضح
لطول تعفيها ولكن اخالها
إذا قلت : أنسى دار ليلي على البلى
تصور في أقصى ضميري مثالها
وكنت أرجي وصلها عند هجرها
فقد بان مني هجرها وصالها
فلا عهد الا أن يعاود ذكرها
ولا وصل الا أن يطيف خيالها

وهذا هو الشعر الذي لم تشن وجهه الاستعارة البعيدة ولا المعنى المتمحل (٢٦) » •

والذي يهمنا هنا هو حديثه عن أبي نواس - طبعا - فهو يرى أن أبا نواس قد جاء بأبدة ظريقة عجيبة ، الا انه ، في الوقت نفسه ، قد شان قوله هذا ، وذلك لأنه لم يكن « مخبرا بالأمر على ما هو » كما فعل البحري • وهكذا أخرجه عن سنن العرب • انه يريد أن يصف أبو نواس الديار كما هي في الواقع ، والا فهو متمحل •

(٢٦) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري : ٥٢٢/١ •

ولا يدري الأمدي ان ابا نواس قد وصف الديار كما هي في الواقع ولكن بعد أن توحد واياها في واقع غير الواقع الذي في ذهن الأمدي . الشاعر - هنا - في لحظة من لحظات التأمل التي ترتد فيها النفس وهي تضع عينا على الداخل وأخرى على الخارج ، عينا على داخل النفس وعينا على الحياة ، في محاولة من محاولات معرفة المصير . وهذا التوحد جعل من الربع ونفس الشاعر شيئا واحدا ، أخذ ينظر اليه الشاعر بأسى . الربع ، هنا ، هو أبو نواس الغائب الذي لا يستطيع أن يفعل شيئا لرد الخيبة . وسعاد ، هنا ربما كانت أبا نواس نفسه مرة أخرى في شخصية انشطرت الى اثنين : واحد أس مفعوع ، والآخر أمل متطلع . فما أنا قائل لسعاد ؟ ماذا يقول أبو نواس المفعوع لأبي نواس ذي الآمال ؟ أو ربما كانت سعاد هي المحبوبة ، وطبعاً يريد المحب أن يظهر أمام محبوبته انسانا ناجحا موفقا وصل الى ما يطمح اليه او هو في سبيل ذلك . ولكن ، والحالة هذه ، ماذا أنا قائل لسعاد ؟

والقصيدة في مدح الفضل البرمكي ، أي في عهد الرشيد ، وهو العهد الذي لم يبلغ فيه أبو نواس ما يبتغي . وهو يصور طموحه في هذا العهد ، في موضع آخر ، فيقول :

سأبغي الفنى اما نديم خليفة

يقوم سواء أو مخيف سبيل (٢٧)

وإذا كان أبو نواس غير مهياً الى أن يكون « مخيف سبيل » فهو يطمح الى أن يكون نديم خليفة أو من هو قريب من الخليفة ، وذلك لم يتحقق ، بالشكل الذي يريده أبو نواس ، في زمن الرشيد . ولم يتحقق الا في زمن ابنه الأمين .

هذا هو الذي جعل الأمدي نفسه يقول عن أبي نواس انه جاءنا بأبدة ظريفة عجيبة ، وان غير واحد من الشيوخ استحسناها . وذلك متأت من أن أبا نواس عبر عن تجربة فريدة ، تبع فيها نداء نفسه ، ولم يتبع فيها طريق غيره ، ولذلك كانت الأبيات ليست على طريقة العرب ولا مذاهبهم ، كما يقول الأمدي أيضاً . ومن هنا تبدو أصالتها وخصوصيتها . ومن هنا دخلت - بغض النظر عن مناسبتها ، وهو أمر لم يتعرض له الأمدي - في باب الشعر الأصيل .

(٢٧) ديوان أبي نواس (آصاف) : ص ٣١١ .

وما يطالب به الأمدي أبا نواس من ضرورة التمسك بالواقع الذي يتصوره ، وضرورة السير على رسوم محددة وأسس ثابتة لا يتعداها الشاعر هو حجر على الشعر وغل لانطلاق الشاعر المبدع . » وأي بحث في لفظة الشعر - خاصة - يقوم على أساس اطراد بعض الأفكار والأسس لا يمكن أن ينتهي الى نتيجة سليمة تماما ، لأن ذلك يعني أن النشاط اللغوي متكرر . وهذا افتراض قد ينفع في تعلم الأجانب للغة ، ولكنه لا ينفع اذا نظرنا اليه على أنه كشف دقيق لطبيعة اللغة وامكانياتها (٢٨) » .

ومما عيب من المطالع عند أبي نواس قوله في قصيدة مدح بها الأمين ، رغم الاعجاب بالقصيدة :

يا دار ما فعلت بك الأيام لم تبق فيك بشاشة تستام
يقول ابن الأثير : « وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء ، فقال : من أجاد الابتداء والمقطع . ألا ترى أن قصيدة أبي نواس التي هي :

يا دار ما فعلت بك الأيام لم تبق فيك بشاشة تستام

وقد قيل انها من أشرف شعره وأعلاه منزلة ، وإن أبا تمام ، مع تقدمه في صناعة الشعر ، أعجب نفسه في الاتيان بما يماثلها أو يشابهها فلم يقدر على ذلك . وهي مع شرفها في الشعر مستكرهة الابتداء من حيث النظر ، لأنها في مدح الخليفة الأمين . وافتتاح المديح بذكر الديار ودروسها يتطير به ، ولا سيما في حق الخلفاء والملوك . ولهذا يختار من أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأمام وفوز وما يجري هذا المجرى (٢٩) » .

وصواب ذلك الذي ذهب اليه ابن الأثير وغيره من استهجان مطلعي قصيدتي أبي نواس هاتين من حيث عدم مناسبتهما للمقام . إذ من الضروري مراعاة الموقف ، وأخذ المقابل بنظر الاعتبار في المخاطبة ، لا سيما اذا كان الحديث موجها الى شخص مثل الأمين أو الفضل البرمكي ، وكانت المناسبتان هاتين المناسبتين ، إذ أن ذلك من أبسط قواعد اللياقة وحسن الذوق اللذين لا نفلن أن واحدا مثل أبي نواس يجهلها وهو الشاعر العالم ، والنديم الذكي الذي لا يخفى عليه مثل هذه الأمور .

(٢٨) د . مصطفى ناسف : نظرية المعنى في النقد العربي : ص ٣٢ .

(٢٩) الجامع الكبير : ص ١٩٠ .

وقد ذكر ابن رشيق في تعليل استهلال أبي نواس قصيدته في تهنة الفضل الفضل البرمكي بهذا الاستهلال ، وورود ذلك البيت الداعي الى التشاؤم في القصيدة نفسها أن قوما زعموا أن أبا نواس قصد التشاؤم للبرامكة لشيء كان في نفسه من جعفر أخي الفضل (٣٠) ولكن ابن رشيق لا يقتنع بهذا التعليل تمام الاقتناع لذا فهو يعقب على ذلك بقوله : « ولا نطن ذلك صحيحا لأن القصيدة من جيد شعره الذي لا أشك أنه يحتفل له اللهم الا أن يصنع ذلك حيلة منه وسترا على ما قصد اليه بذلك » .

ونحن اذ نوافق ابن رشيق في عدم اقتناعه بذلك الزعم لجودة القصيدة فاننا نقول ان أبا نواس لم يسقط هذه السقطة وحدها فقد رأينا أنه فعل مثلها في استهلال قصيدته في الأمين السابق ذكرها ، كما انه لم يكن الأول ولا الأخير في ذلك السقوط ، فقد حصل مثل ذلك من ذي الرمة واسحاق الموصلي والبحري (٣١) وغيرهم . ولا تعليل لنا لذلك غير استغراق الشاعر في مخاطبة نفسه في هذا الصنف من الاستهلال بحيث ينسى أن الكلام موجه الى غيره . وقد التفت الى مثل ذلك أبو هلال العسكري وحذر منه (٣٢) .

أما التخلص ، ويسمى الخروج أيضا . وهو كما قال ابن رشيق « أن تخرج من نسيب الى مدح أو غيره ، بلطف تحيل ، ثم تتماذى فيما خرجت اليه (٣٣) » أو هو كما قال ابن الأثير : « أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فبينما هو فيه اذ أخذ في معنى غيره ، وجعل الأول سببا اليه ، فيكون بعضه أخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ افراغا (٣٤) » .

وعكس ذلك هو الاقتضاب ، ويسمى أيضا الاقتطاع والارتجال . وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك . ولا يكون للشاني علاقة بالأول . وهو

(٣٠) العمدة : ٢٢٤/١ .

(٣١) أبو هلال العسكري : الصناعين : ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٣٢) الصناعتين : ص ٤٥١ .

(٣٣) العمدة : ٢٤٣/١ .

(٣٤) المثل السائر : ١٢١/٣ .

مذهب العرب ، ومن يليهم من المخضرمين • وأما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلّص ، فأبدوا وأظهروا كل غريبة (٣٥) » •

وقد عيب القدماء بانتقالهم من غرض الى غرض بـ « دع ذا » و « عد عن ذا » وغيرهما لقبه ، ولأن ذلك لا يختلف عن الاقتضاب (٣٦) •

وقد ذهب عبد الرحيم العباسي الى أن الاقتضاب هو الغالب على شعر أبي نواس (٣٧) واستشهد لذلك بقول أبي نواس في قصيدته الآتية •

يا كثير النوح في الدمن	لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة	فاذا أحبيبت فاستكن
ظن بي من قد كلفت به	فهو يجفوني على الظنن
قام لا يعنيه ما لقيت	عين ممنوع من الوسن
رشاً لولا ملاحظته	خلت الدنيا من الفتن
ما بدا الا استرق له	حسنه عبدا بلا ثمن
فأسقني كأساً على عدل	كرهت مسموعه أذني
من كميت اللون صافية	خير ما سلسلت في بدني
ما استقرت في فؤاد فتى	فدرى ما لوعة الحزن
مزجت من صوب غادية	حلبته الريح من مزن
تضحك الدنيا الى ملك	قام بالأثار والسنن

معقبا على ذلك بقوله : « فهو كما تراه قد انتقل من الغزل الى المديح من غير تخلّص (٣٨) » •

والناظر في شعر أبي نواس سيجد أن الوحدة الموضوعية غالبية على كثير من قصائده ، فإذا أتى الحديث عن الاقتضاب فانما يأتي في الحديث عن قصائده المتعددة الموضوعات • وهذا يتمثل في بعض قصائده المدحية • وحين نقف على قصائد أبي نواس المدحية غير ذات الوحدة الموضوعية نجد ظاهرة الاقتضاب فيها لافتة للنظر في عدد منها •

(٣٥) المكان نفسه •

(٣٦) ثعلب : قواعد الشعر : ص ٦٠ ، والآمدي : الموازنة : ٢/٢٩١ •

(٣٧) معاهد التنصيص : ٤/٢٦٨ •

(٣٨) المكان نفسه •

وإذا كان المديح هو الغرض الأساسي في هذه القصيدة ، والتركيز على النقلة اليه هي التي يسلط عليها الضوء في الحديث عن الاقتضاب أو حسن التخلص ، فإننا نلفت النظر الى أن الاقتضاب في هذه القصيدة لا يكثر في النقلة الى المديح فقط ، بل انه يظهر في النقلة من موضوع الى موضوع في غير المديح ، بالإضافة الى النقلة الى المديح فيها .

وهكذا فان ما ذهب اليه العباسي من أن الاقتضاب هو الغالب على شعر أبي نواس لم يكن دقيقا ، اذ هو غير غالب على شعره ، بل هو ظاهر بشكل ملحوظ في بعض قصائده المدحية ، وليس أدل على ذلك من أن العباسي قد استشهد لما ذهب اليه بقصيدة مديح .

بعد أن وقفنا على المقصود من الاقتضاب وموقف بعض النقاد في النظر من زاويته الى شعر أبي نواس ، ننتقل الى ظاهرة أخرى في الشعر عدها ابن رشيق من الاقتضاب ، وأشار الى زعم البعض ، كما يقول ، ان أبا نواس هو أول من فتح بابه وفتح معناه . فهو يقول : « ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب ، بل يهجم على ما يريده مكافحة ، ويتناوله مصافحة ، وذلك عندهم هو الوثب والبتير والقطع والكسع والاقتضاب . كل ذلك يقال . والقصيدة اذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البترام والقطماء ، وهي التي لا يبدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب . . . قال أبو الطيب :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم اكل فصيح قال شعرا متيم
فأنكر النسيب . وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتح هذا المعنى أبو نواس بقوله :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند

وأشرب على الورد من حمراء كالورد

وقوله - وهو عند الحاتمي فيما يروي عن بعض شيوخه - أفضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين :

صفة الطلول بلاغة القدم

فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر ، وأخذ عليه ألا يذكرها في شعره قال :

أعر شمرك الأطلال والمنزل القفرا
فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا
دعاني الى وصف الطلول مسلط
تضييق ذراعي أن أرد له أمرا
فسمعا أمير المؤمنين وطاعة
وان كنت قد جشمتني مركبا وعرا

فجاءه بأن وصف الأطلال والقفرا انما هو من خشية الامام والا فهو
فراغ وجهل . وكان شعوبي اللسان ، فما أدري وراء ذلك . وان في اللسان
وكثرة ولوعه بالشئ لشاهدا عدلا لا ترد شهادته . وقد قال أبو تمام :

لسان المرء من خدم الفؤاد (٣٩) «

وفي هذا النص يقرر ابن رشيق ما يلي :

١ - أن القدماء الى عهد أبي نواس كانوا يقدمون لقصائدهم بالنسيب ،
ملتزمين بهذه المقدمة .

٢ - ان أول من ترك هذه المقدمة - فيما زعموا ، على حد قول ابن
رشيق - هو أبو نواس .

٣ - ان ترك هذه المقدمة هو اقتضاب .

٤ - ان دافع أبي نواس الى ترك هذه المقدمة هو الشعوبية . وتعليقا
على ذلك نقول :

ربما كان ذهاب ابن رشيق الى وجوب مقدمة النسيب متأثرا من نظره
الى قول ابن قتيبة : « سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصـيد
انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربيع ،
واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، اذ كان
نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتقالهم
عن ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلاً ، وتتبعهم مساقط النيث حيث كان ، ثم

(٣٩) العمدة : ٢٣١/١ .

وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصسابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، لان النسيب قريب من النفوس ، لا ئط بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل والفس النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام (٤٠) » .

وابن قتيبة ، هنا ، يحدث عن قصيدة المديح كما نرى ، كما أنه لم يطالب الشعراء الذين تعرض لهم في كتابه الذي ورد فيه هذا النص بهذا المنهج ، فلم يفض من شأن شاعر لأنه لم يلتزم به . ثم اننا لم نجد من النقاد من يجارى ابن قتيبة في هذا المنهج غير ابن رشيقي فيما سبق ذكره . وهذا يدل على أن الأمر لم يكن قاعدة يجب أن تتبع ، بل انه بالفعل لم يتبعه الشعراء دائما ، ومنذ العصر الجاهلي . ومستقري دواوين الشعر العربي منذ الجاهلية حتى نهاية العصر العباسي سيجد مصداق ذلك . وقد استقرى بعض الباحثين تلك الدواوين للتحقق من قدر اتباع ذلك المنهج فتوصل الى القول التالي : « لقد تبين لنا بعد هذا الاستقراء الشامل لدواوين الشعر العربي منذ الجاهلية حتى نهاية العصر العباسي أن الشعراء لم يلتزموا بالمنهج الذي أشار اليه ابن قتيبة ، وانما أخذوا به في بعض قصائدهم ، وانصرفوا عنه الى منهج يختلف عنه في قصائدهم الأخرى . ولم يظهر هذا التباين لدى شاعر أو شعراء قليلين ، بل ظهر في دواوين جميع الشعراء ، ولذلك نستطيع أن نقول - مطمئنين - ان المنهج الذي رسمه ابن قتيبة لم يكن تقليدا فنيا يجب اتباعه ، وان الشاعر الجاهلي والاسلامي والعباسي لم يكن ينظم القصيدة وفقا لتقاليد فنية (في هذا الصدد) يطيعها وحدها (٤١) » .

فاذا كان الشاعر العربي لم يلتزم بأن يجعل لكلامه بسطا من النسيب ، ولم يكن الناقد العربي يلزم الشاعر بذلك ، تساقطت ركائز ما ذهب اليه ابن رشيقي ، فلا يعد ترك النسيب في أول القصيدة اقتضابا ، ولا يكون أبو نواس مقتضبا في ذلك ، فضلا عن أن يكون أول من فعل ما ذهب اليه ابن رشيقي من انه اقتضاب .

(٤٠) الشعر والشعراء : ٧٥/١ .

(٤١) حياة جاسم : وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي : ص ١٦٢ .

أما ربط ترك مقدمة النسيب بالشعبوية ، فذلك يعني بصورة عامة لصق تهمة الشعبوية بكل من ترك تلك المقدمة ابتداء من العصر الجاهلي ، وهو أمر لا يمكن ، بطبيعة الحال .

وأما بصورة خاصة ، بالنسبة الى أبي نواس باعتباره حامل لواء الثورة على تلك المقدمة ، فهو أيضا أمر غير مقبول . اذ لو كانت الشعبوية هي الدافع لذلك « فلم لم يقد تلك الثورة بشار أو يساندها ويشارك فيها على الأقل ، وهو رأس الشعبوية وعميدها ؟ وفي شعر أبي نواس نفسه ما ينفي هذه التهمة . فهو عندما يعرض لهذا الموضوع لا يذهب الى أكثر من أن يوازن بين الحياة السابقة والحياة الجديدة ، وما يجب أن يهمل ويترك من تلك ، وما يجب أن يلتفت اليه من هذه . وهو وان ذكر القدماء وتعرض لهم فليس أكثر من أنه كان ينعى عليهم ما كانوا فيه من عيش لا يساوي شيئا اذا ما قيس بما كان عليه عصر أبي نواس من مدنية (٤٢) » وقد عبر أبو نواس عن وجهة نظره بشكل محدد وبين دوافعه لذلك في كلمة وجهها الى الأمين ، وهو يستأذنه في انشاد قصيدة عدل فيها عن تلك المقدمة - التي عمد اليها في بعض قصائده المدحية - واستهلها بالحديث عن الخمر . يقول في كلمته مخاطبا الأمين : « يا امير المؤمنين ، ان الشعراء قبلي (في انشاد قصائدهم أمام الأمين) شبيوا بالمدن والحجر ، والشقاء والبقر ، والصوف والوبر ، فغلظت طباعهم ، واستغلقت معانيهم ، ولا بصر لهم بامتداح خلفائنا ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بالانشاد فعل . فقال : قد أذننا لك . فأنشده (٤٣) » قصيدته التي مطلعها :

ألا دارها بالماء حتى تلينها
فلن تكرم الصهباء حتى تهينها (٤٤)

وقد عرف بعض القدماء - على الأقل - قصد أبي نواس حين يهجو الأعراب وحياتهم بأنه يهجو فيهم الجفاء في أخلاقهم ، والشقاء في عيشهم ،

(٤٢) يوسف حسين بكار : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : ص ١٠٣ .

(٤٣) ديوان أبي نواس (فاغتر) : ١ / ١٣٠ .

(٤٤) المصدر نفسه : ١ / ١٢٩ .

وأنه يرى في وقوفهم على الديار وعلى دارس الآثار ليس إلا جهلا (×) .
يقول حمزة الأصفهاني :

« وقال في هجاء الأعراب ووصف ما جاء في أخلاقهم من الجفاء وفي
عيشهم من الشقاء واستجهاله أياهم في الوقوف على الديار ونعت ما درس
فيها من الآثار (٤٥) ٠٠٠ » .

وهذا هو الأمر المتوقع من شاعر عاش في العصر العباسي ، حيث غرق
الكثير من الخاصة فيه في الترف ، وعاش هذا الكثير في قصور تحيط بها
الرياض وتمتع فيها الجواني والقيان ، وتسيل في عدد من مجالسها الخمر ،
بعيدا عن الخيام والابل والأملال العافية .

وبعد ذلك ، أو قبله ، ألم يقل ابن رشيق نفسه في كتابه الذي ورد
فيه نصه السابق : « وليس بالمحدث حاجة إلى أوصاف الابل ونموتها ، والقفار
ومياها ، وحمر الوحش والبقر والظلمان والوعول ما بالأعراب وأهل البادية
لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلفها
تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما ٠٠٠ والأولى بنا في هذا الوقت
صفات الخمر والقيان وما شاكلهما ، وما كان مناسبا لهما كالكؤوس والقناني
والأباريق وتفاح التحيات وباقات الزهر إلى ما لا بد منه من صفات الخدود
والقدود والنهود والوجوه والشعور والريق والثغور والأرداف والنصور ،
ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين (٤٦) » .

فماذا فعل أبو نواس ، في الكثير من شعره ، غير هذا ؟
أما إذا كان الذي يقصده ابن رشيق في اتهام أبي نواس بالشعبوية شيئا
أبعد من ذلك ، وهو ما يتراءى في شعر أبي نواس من « تماجم » ، فتلك
قضية أخرى .

(×) والا فقد كان أبو نواس شديد العصبية للقحطانيين . انظر : ابن
المعز : طبقات الشعراء : ص ٢٠٠ .
وكان يطري العرب صراحة في بعض شعره ، كقوله على لسان الخمرة
حين يعدد لها أصنافا من الناس فترجوه أن « لا يمكنهم منها » :
ولا السفال الذي لا يستفيق ولا غر الشباب ولا من يجهل الأدبا
ولا الأرذال إلا من يوقسرنني من السقاة ولكن أسقني العريا
انظر : ديوانه (أصاف) : ص ٢٤٧ .
(٤٥) ديوان أبي نواس (فاغتر) : ٣٠/٢ .
(٤٦) العمدة : ٢٩٥/٢ .

وتلك القضية الأخرى قد تناولها ابن منظور ، واستشهد عليها بقول
أبي نواس :

فاسقينها وغن صو تا لك الخير أعجما
ليس في نعمت دمنة ولا زجر أشاما
وقوله :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدرىها بالقسي الفوارس
وقوله :

تراث أبي ساسان كسرى ولم يكن
مواريث ما أبقت تميم ولا بكر (٤٧)

وتعليقا على ذلك نقول :

بالنسبة الى البيتين الأولين اذ يدعو ساقيه أن يغنيه صوتا أعجيا فهو
يعني بالأعجمي هنا - في مقابل العربي - انه ليس في وصف الدمن وفي
الزجر واذا لم ننس ان العصر العباسي الاول ، على الاقل ، وهو العصر الذي
الذي عاش فيه أبو نواس ، قد اصطبح بالصبغة الفارسية في كثير من مظاهر
الحياة ابتداء بنظام الحكم وليس انتهاء بالمأكل والملبس ، في بيئة عرفت
بالترف ورخاء العيش والركة ، فيكون أبو نواس حين يطلب من ساقيه أن
يغني لا يطلب منه الا أن يغني صوت هذا كله ، بما فيه من نمومة الحضارة
وترفها المرفه ، دون أن يغنيه صوت الصحراء وما فيها من خشونة وشظف
عيش . وقل مثل ذلك عن البيت الأخير الذي يبدأ شطره الأول بـ « تراث
أنو شروان » ، كما ورد في الديوان (٤٨) لا « تراث أبي ساسان » كما
أورده ابن منظور (!) .

أما البيتان المتبقيان - تدار علينا الراح . . . - فقد حملهما ابن
منظور أكثر مما يحتملان أيضا . ونحن نتفق مع عبد الحليم عباس (٤٨) في
أن العرب حوالى عصر أبي نواس قد فهموها على حقيقتهما ، دون أن
يستشفوا منهما إشارة الى شعريية . فهذا الجاحظ ، وهو من هو في حرب

(٤٧) مختار الأغاني : ٢٦/٣ .

(٤٨) أبو نواس : ص ١٥٥ .

الشعبوية والدفاع عن العرب يطريهما أحسن الاطراء (٤٩) وكما يروي ابن منظور نفسه (٥٠) دون أن يرى فيها أية علاقة بالشعبوية . ثم ٠٠ أي بأس في أن يرى شاعر كأسا عليها رسوم فارسية فيصفها في عصر مصبوغ بالصبغة الفارسية ؟
• تلك واحدة •

والأخرى أن أبا نواس لم يقتصر على صفة كأس عليها رسوم فارسية ، فقد وصف كأسا أخرى صورعليها القسوس ذوو الصلبان وهم يتلون انجيلهم ولعلهم من الروم ، كما أشار الى ذلك عبد الحليم عباس (٥١) في قول أبي نواس التالي :

يتلون انجيلهم وفوقهم سماء خمر نجومها الحب
ملس وأمثالها محفورة
صور فيها القسوس والصلب
يتلون انجيلهم وفوقهم سماء خمر نجومها الحب
سماء خمر نجومها الحب (٥٢)
بل قد وصف آنية رسم عليها رجال من الهند في قوله :
بأنية مخروطة من زبرجد

.

كان رجال الهند حول انائها

عكوف على خيل تدير متونها (٥٣)
واذن فلم تكن تلك الظواهر في شعر أبي نواس ظواهر شعبية وانما هي ظواهر شاعرية وعت عصرها ، ووعت هذا الجانب من صلة الشعر بالواقع الحضاري المعاش .

ومثلما وقف النقد عند ظاهرة الاقتضاب في شعر أبي نواس وعد ما عد اقتضابا فقد وقفوا عند التخلص لديه ، فأعجبوا ببعضه واستهجنوا بعضا آخر .

-
- (٤٩) عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص : ٣٤/٤ .
(٥٠) مختار الأغاني : ٢٦/٣ ، ٢٧ .
(٥١) ابو نواس : ص ١٦ .
(٥٢) ديوانه (أضاف) : ص ٢٤٣ .
(٥٣) المصدر نفسه : ٣٤٩ .

فقد أعجب عبد الرحيم العباسي (٥٤) - الذي سبق وأن وسم شعمر أبي نواس بغلبة الاقتضاب عليه ، كما مر بنا - بحسن التخلص في قوله التالي من قصيدة يمدح بها الغصيب ، كما أعجب به ابن أبي الاصبع (٥٥) :

تقول التي من بيتها خف محملي

يمز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للفنى متطلب
بلى ان أسباب الفنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بواد
جرت فجـرى في اثرهن عبير
دعيني أكثر حاسديك برحلة
الى بلد فيه الغصيب أمير
إذا لم تطلأ أرض الغصيب ركابنا
فأي فتى بعد الغصيب نسزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله
ويعلم أن الدائـرات تدور
فما جازه جود ولا حلـدونه
ولكن يصير الجود حيث يصير

ومع أن النقاد يرون أن حسن التخلص أحسن ما يأتي في بيت واحد (٥٦) فإن ذلك لم يمنع عبد الرحيم العباسي وابن أبي الاصبع من الاعجاب بالتخلص الآنف الذكر ، كما لم يمنع العباسي (٥٧) ويحيى بن حمزة الملوي (٥٨) من الاعجاب بحسن التخلص التالي :

وإذا جلست الى المدام وشربها

-
- (٥٤) معاهد التنصيص : ٢٥٠/٤ .
(٥٥) تحرير التعبير : ص ٤٣٥ .
(٥٦) أسامة بن منقذ : البديع : ص ٢٢٨ ، والملوي : الطراز : ١٨١/١ .
(٥٧) معاهد التنصيص : ٢٥١/٤ .
(٥٨) الطراز : ١٨١/٣ .

فاجعل حديدك كله في الكاس
واذا نزعته عن الفؤاية فليكن
لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تلم
في مدحهم فامدح بني العباس

وقد كان اعجاب العلوي بحسن التخلص هذا كبيرا ، فقد قال حوله عن
أبي نواس : « فقاتله الله ما أرق كلامه ، وما أعجب ما جاء به من النسيب
وحسن التخلص ، فكان ما جاء به رحيق مفلل ، أو نهر جار مسلسل (٥٩) »
ولم يطر بمثل هذا الاطراء ما مثل به لحسن التخلص ببيت أو بيتين مما
أورده لغير أبي نواس .

وقد استهجن قول أبي نواس ، وهو يتخلص الى مديح الفضل بن يحيى
بن خالد البرمكي :

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد
هواكم لمسل الفضل يجمع بيننا
اذ يقال ان الفضل قال لأبي نواس حين سمع قوله هذا : ما زدت على
أن جعلتني قوادا (٦٠)

ويروى أن أبا نواس رد عليه قائلا : « أصلح الله الأمير ، انه جمع
تفضل لاجمع توصل (٦١) »

والظاهر أن الفضل البرمكي - ان صح أنه علق بهذا التعليق وصح رد
أبي نواس عليه بهذا الرد - قد اقتنع برد أبي نواس ، ولهذا أكرمه على
القصيدة التي منها هذا البيت ، ولو أن عطيته كانت دون ما توقع
أبو نواس (٦٢) . هذا وقد أنشد الأصمعي الفضل ، مع ما أنشده مرة من

(٥٩) المكان نفسه .

(٦٠) المرزباني : الموشح : ص ٤٢٤ .

(٦١) ديوان أبي نواس (فاغتر) : ١ / ١٦١ .

(٦٢) المكان نفسه .

شعر أبي نواس ، هذه القصيدة ، فبعث الى أبي نواس مبلغا من المال (٦٣) ولو كان في نفس الفضل شيء على أبي نواس من تلك القصيدة لما أنشد الأعممي الفضل اياها ، ولما بعث الفضل الى أبي نواس ذلك المال .

ولم يخطيء أبو نواس في قوله ذاك ، فقد كان يقصد جمع تفضل لا جمع توصل ، ثم انه في بيته المذكور قد قال « يجمع بيننا » ثم أتبع ذلك بذكر المال والسخاء به فقال :

أمير رأيت المال في نعمائه

مهينا ذليل النفس بالضميم موقنا

فكأنه أشار الى أن جمعه بينهما بالمال خاصة ، يفضل عليه ، ويجزّل عطيته فيتزوجها أو يتسرى بها (٦٤) .

واذا قلنا ان أبا نواس لم يخطيء في بيته ذاك فذلك لا يعني أن البيت موفق كل التوفيق في مناسبته . اذ من الأفضل لو ان أبا نواس تجنب ما يدعو الى اللبس في هذه المواضع . واذا كان على الانسان أن يبتعد عن كل ما يחדش احساس مخاطبه حتى لو كان هذا المخاطب من عامة الناس ، فالأجدر به أن يفعل ذلك وهو يناطب شخصا مثل الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ، في قصيدة مديح يتكسب بها ، لا سيما وان هذه الفئة من الناس شديدة الحساسية ، تلك الحساسية التي كان لها انعكاس على مقاييس النقد العربي القديم . « ومن شاء أن يدرس ناحية طريفة في الشعر العربي فانه يجدها في مدى خضوع الشعر العربي في مقاييسه النقدية لما كانت تخضع له حياة البلاط من فنون « الآيين » . فان نسبة كبيرة من المقاييس النقدية ليس الا نوعا من الاستلطاف أو الاستخفاف بمعرفة الشاعر أو جهله لأصول اللياقة في الخطاب والابتداء ، وفي طريقة الرصف والدقة الهندسية (٦٥) »

وقد يبدو النقاد ملكيين أكثر من الملك ، كما يقولون ، فقد عمدوا مطلع قصيدة لأبي نواس هو التالي ، وهو مطلع قصيدة في المديح :

(٦٣) ابن المعتز : طبقات الشعراء : ص ٢١٧ .

(٦٤) ابن رشيق : العمدة : ٣٢٥/١ .

(٦٥) د . احسان عباس : فن الشعر : ص ١٦٣ .

يا دار ما فعلت بك الأيام
لم تبق فيك بشاشة تستام

من المطالع السيئة • في حين لم يحدثونا عن استياء المدوح من هذا
المطلع بل حدثنا عن أنه أجاز الشاعر على هذه القصيدة « فوصله بألف
دينار (٦٦) » •

وأما عن الخاتمة ، وتسمى المقطع والاختتام والانتها ، فقد رأوا انه
على الشاعر أن يختم كلامه بأحسن خاتمة (٦٧) لأنها آخر ما يبقى على
الأسماع ، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها (٦٨) ذلك من
ناحية ، ومن الناحية الأخرى لتوقن النفس بأنها آخر القصيدة (٦٩) ، وغاية
حسن الخاتمة أن يعرف انقضاء القصيدة وكمالها ، فهذه علامة حسنها
ورونقها (٧٠) وإذا كان أول الشعر مفتاحا وجب أن يكون الآخر قفلا
عليه (٧١) •

وقد أشار بعض النقاد الى بعض خواتم أبي نواس معجيين • من ذلك
قوله :

أنت الخصيب وهذه مصر
فتدنتنا فكلكما بحر
لا تقعدا بي عن مدى أمل
شيئا فما لكما به عذر
ويحق لي اذ صرت بينكما
الا يجعل بساحتي فقرا (٧٢)

-
- (٦٦) ديوان أبي نواس (فاغتر) : ١٢٤/١ •
(٦٧) عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص : ٢٧٢/٤ •
(٦٨) العلوي : الطراز : ١٨٣/٣ •
(٦٩) أسامة بن منقذ : البديع : ص ٢٨٧ •
(٧٠) العلوي : المصدر السابق : ١٨٦/٣ •
(٧١) ابن رشيق : العمدة : ٢٣٩/١ •
(٧٢) ابن ابي الاصبع : تحرير التعبير : ص ٦١٨ •

وقوله :

واني جدير اذ بلغتك بالمني
• أنت بما أملت منك جدير
فان تولني منك الجميل فأهله
والا فاني عاذر وشكور (٧٣)

وحين يورد العلوي قول أبي نواس التالي ، وقد أورده ابن أبي
الاصبع (٧٤) أيضا مثالا لحسن الخاتمة دون أن يذكر اسم أبي نواس :

فبقيت للعلم الذي تهدي به
وتقاعست عن يومك الأيام

يعلق العلوي قائلا : « فانظر الى حسن هذه الخاتمة كيف تضمنت الدعاء
بالبقاء ، مع نهاية المدح والاعظام لحاله ، وغاية حسن الخاتمة أن يعرف
السامع انتضاء القصيدة وكمالها ، فهذه علامة حسنها ورونتها (٧٥) » .

(٧٣) المكان نفسه .

(٧٤) المكان نفسه .

(٧٥) الطراز : ١٨٦/٣ .

المصادر والمراجع

- حسب ورودها في البحث :
- x ابن طباطبا : عيار الشعر : تحقيق د. طه الحاجري وزميله - القاهرة ١٩٦٦ .
 - x ابن رشيق : المعمد : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ - بيروت ١٩٧٢ .
 - x القاضي الجرجاني : الوساطة : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وزميله ، القاهرة ١٩٦٦ .
 - x أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين : تحقيق البجاوي وزميله - القاهرة ، د. ت .
 - x ابن الأثير : المثل السائر : تحقيق د. الحوفي وزميله - القاهرة ١٩٦٢ .
 - x الحاتمي : حلية المحاضرة في صناعة الشعر : تحقيق جعفر الطيار الكتاني ، رسالة ماجستير مخطوطة في مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٧١٥) .
 - x ابن أبي الاصبغ : تحرير التعبير : تحقيق د. حفنى شرف - القاهرة ١٩٦٣ .
 - x ابن منظور : أخبار أبي نواس : ج ٢ ، تحقيق شكري محمد أحمد - بغداد ١٩٥٢ .
 - x عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٧ .
 - x ديوان أبي نواس : طبعة اسكندر أصف - القاهرة ١٨٩٨ .
 - x ديوان أبي نواس : تحقيق ايفالد فاغنر : ج ١ : القاهرة ١٩٥٨ ، ج ٢ : فسادن ١٩٧٢ .
 - x المرزباني : الموشح : تحقيق البجاوي - القاهرة ١٩٦٥ .
 - x ابن منظور : مختار الأغاني في الأخبار والتهاني : ج ٣ : تحقيق عبد العليم الطحاوي - القاهرة ١٩٦٦ .

- x العصري القيرواني : جمع الجواهر : تحقيق البجاوي - القاهرة
• ١٩٥٣
- x ابن شرف القيرواني : رسائل الانتقاد ، ضمن « رسائل البلغاء » لمحمد
كرد علي - القاهرة ١٩٦٤ •
- x ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة : شرح وتصحيح عبد المتعال
الصعيدي - القاهرة ١٩٦٩ •
- x أسامة بن منقذ : البديع : تحقيق د• احمد بدوي وزميله - القاهرة
• ١٩٦٠
- x ابن الأثير : الجامع الكبير : تحقيق د• مصطفى جواد وزميله - بغداد
• ١٩٥٦
- x يحيى بن حمزة العلوي : الطراز - القاهرة ١٩١٤ •
- x الآمدي : الموازنة : تحقيق السيد صقر ج ١ ط ٢ : ١٩٧٢ ، ج ٢
ط ١ : ١٩٦٥ ، القاهرة •
- x مصطفى ناصف : نظرية المعنى في النقد العربي - القاهرة ١٩٦٥ •
- x ثعلب : قواعد الشعر : تحقيق د• رمضان عبد التواب - القاهرة
• ١٩٦٦
- x ابن قتيبة : الشعر والشعراء : تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة
• ١٩٦٧
- x حياة جاسم : وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر
العباسي - بغداد ١٩٧٢ •
- x يوسف حسين بكار : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري - القاهرة
• ١٩٧١
- x ابن المعتز : طبقات الشعراء : تحقيق عبد الستار أحمد فراج - ط ٢
- القاهرة ١٩٦٨ •
- x عبد الحلیم عباس : أبو نواس ، سلسلة (اقرأ) رقم (٢١) •
- x د• احسان عباس : فن الشعر - بيروت ١٩٥٥ •